قراءة في ومضة "صرخة" لجمال الجزيري

هيفاء حمودة، سوريا

صرخة

أينقطعُ النورُ عن حضانة الأطفال يا أولادَ الملاعين؟ سنوات في سبيل صرخة.عيونكم بالمقابل.

إيحاءات....

جدليّة النور والظلام ..

بغض النظر عما يحمله مفهوم الجدليّة من معانٍ كبيرة وعميقة، فإنني سأتناوله هنا بمفهومه اللحظوي الموجود في الومضة القصصية. هذه الجدليّة قائمة على الشدّ والجذب حيناً، وعلى التناحر حيناً آخر.. فالنور والظلام يتصارعان منذ الأزل، وأبناء الظلام باطلون؛ لأنهم أتباع الشر، ولأنّهم النبض الذي يعلو ويهبط على إيقاع الخوف والعنف.. وأبناء النور يقدسون الحياة، والبقاء دائماً لطهرهم ونقائهم.

من خلال دلالات النور والظلام المطروحة في هذه ومضة "صرخة (2)[1]" لجمال الجزيري، فإنه يمكننا قراءة هذه المقطوعة الموسيقية

[1] جمال الجزيري. زوايا كادر خاص. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، يناير 2015. ص 19.

المعزوفة على أوتار الألم، والاستغراب، والسؤال الكبير .. ماذا حدث؟ ولماذا ..؟!

- المكان: حضانة الأطفال، مكان النور الذي تنمو فيه شتلات الحياة، ورودٌ مازالت أزراراً صغيرة وهم قطعٌ من لحم ودم آبائهم .. (صورة تمثل النور ..) هؤلاء؛ فلذات الأكباد الذين تحملت أمهاتهم وآباؤهم مرَّ العناء من أجل أن يسمعوا صرخة النور وهم يعانقون وجه الدنيا، وجه الحياة ..

- الزمان: وقتٌ لا يعرف الوقت، عشوائيُ القسمات والحضور، يمثل زمن الرعب والعتمة، في حين الأمور كلُّها ترتدي عباءة الغرابة، وقناع الخوف؛ هي صورة (تمثل الظلام..).

الاستفهام المعلن المتمثل بالإنكار الشديد لهذا الفعل البعيد عن الإنسانية، الفعل الذي يعرّي الأيادي السوداء التي غطت نور الشمس بعصابة سوداء، وهو سؤال كبير يخرج عن مفهومه القريب إلى ما هو أبعد، ويقوم بالوظيفة الانفعالية لذاك الحدث.

هذا الفعل المستهجن تواشج فيه الاستفهام والنداء للتعبير عن هذا البديل.. الظلام في حضرة النور والبياض، في حضرة الطفولة البريئة من كل الأفكار السوداء التي طغت على الحياة الجديدة..

أما في الجانب الإبلاغي للغة كتعبير وانفعال، فقد كان النداء؛ الصرخة التي سحبت معها سمة من قام بالفعل كوجود وتربية وأخلاق.. (يا أولاد الملاعين) وقد عنى أنهم عديمو التربية، لا يعرفون الحق، ولا يقدسون الجمال.. ويمكن أن يكون نداءً عاماً لمن هم معنيون بهذا الفعل، ليكون بمثابة التعبير عن الرفض الشديد لما يحدث في المكان الأوسع من حضانة الأطفال التي اختزل في مضمونها الآخر الحياة بما فيها..

في الجملة السردية الثانية (سنوات في سبيل صرخة)؛ جاء التعبير الزمني (سنوات) ليحمل في ثناياه دلالات انتظار الأم والأب لـ (صرخة) المولود، ومعه ضوء العين ونور الحياة...

ويشتد الحنق ليصل إلى أعلى امتداده.. "عيونكم بالمقابل"، ليطيح بالأفق المحدود، ويبعثر الرؤية المتدنية. وبعدُ... فإنّ من اغتال النور لا يستحق إلا سحب نور عينيه؛ إنه ثمنٌ غالٍ، مقابل ثمن أغلى...

لقد سرحت الأسماء والأفعال بصفتها الدلالية داخل النص، فجاءت متناسبة متناغمة مع موضوع النور والظلام، وكان الهدف منه:

النور: أطفال، الحضانة، صرخة، نور الحياة (الوجود).

الظلام: يا أولاد الملاعين، عيونكم.

كذا السرد بضمير المتكلم من زاويته؛ فقد وضعنا أمام حالة ساخطة مستهجنة متمنية الردّ على الفعل، ناهيك عن أنها عبرت عنها نبرة الملفوظ والقيم العاطفية الحاملة له..

obeikandl.com